وإطالة الحب بوساطة العنصر الروحي أشار إليها الفيلسوف كنت بقوله : « وعلى قدر سرعة الذهن فى النشاط ، فهو لا يتوانى عن بذل تأثيره أيضاً فى المحيط الجنسى . وسرعان ما اكتشف الإنسان أن منبه الجنس Atimulus الذى اعتمد فى الحيوانات على مجرد دافع دورى غالباً ما يكون وقتياً ، كان فى حالته الخاصة مقتدراً على الإطالة ، وفى الغالب على الزيادة والكثرة بواسطة قوة التخيل [1] » .

ونجد أن الرغبة تتحقق فى شكل رمزى لا فى الأحلام فقط ، سواء أحلام النوم أو أحلام اليقظة ، ولكن فى الشعر والموسيقى والفن والأدب ، الخ ...

والحياة فى طريقها السريع لتكون أكثر تعقيداً ، وسرعة الحياة الحديثة تجبر الإنسان على تنظيم نشاطه اليومى بالنسبة للزمن الذى تسمح به بيئته . فركبات الترام المزدحمة ، والمطاعم ، والملاهى ، والحوانيت ، والشوارع ، تشهد على ازدياد السرعة التى جلبتها الحضارة الحديثة ملايين الأنفس تسير قطعانا ضمن الحدود الضيقة بالمدينة . وهذه الحاجة التى تتطلبها السرعة المجنونة ترقى فى عقولنا هيولية غامضة chaos . وبلاد اليونان لم تنجب مفكريها العظام إلا لأنها منحت سكانها وقتاً للراحة ، هذا الوقت الذى يعد من المستلزمات التى لا تقدر قيمتها لكل نفس فنانة .

وفى أثناء كل هذه السرعة وكل هذا التزاحم ، كيفما يكن ، تعمل الجنسية صامتة على التأثير فى الإنسان والضغط عليه وإقناعه ، وحثه طوال حياته . ولكن الإنسان لا يعير كل هذا أى التفات . فهو جد مشغول بالعوامل الموضوعية فى بيئته ، هذه العوامل التى هي ، بعد كل هذا ، أكثر وضوحاً وأكثر أهمية فى نظره . وفى بعض الأحيان تكشف الجنسية عن نفسها مع نسمات الصيف الرقيقة ، وفى أحيان أخرى ، مع عواصف الشتاء الهوجاء . ولكننا فى كل الحالات نتعامل مع المادة نفسها — الليبيدو . وأعمال الليبيدو لا تخضع للتأثير مع مرور الزمن . هذا التأثير الذى أصبحنا نعرفه الآن وندريه بواسطة استقصاءاتنا السيكولوجية .

عبد العزيز حمادو

(١) The Probable Beginning of Human History
Publisked in 1786

الذين جنوا علينـــا

الذين جنوا علينا ... فبذروا فى طبيعتنا الحرمان ، وغرسوا فى قلبنا الألم ، وأقاموا حياتنا على دعائم من الشك اليائس ، والحيرة المضنية ، والفكر الحزين ، والحب المشوم ... بيت ومدرسة وتقاليد ! فى أرجاء البيت ، تحكم الوالد ... فمنع النافع ، وأجاز الضار ؛ وفى حلقة الدرس ، أفلس الأستاذ ... فدرس الغث وترك المفيد ، وعنى بالقشور وأهمل اللباب ، وفي جحيم البيئة ، تسلطت التقاليد ... ففرضت الحياء ، وأكسبت الجبن ، والتواكل ، وراضتنا على خلق العبيد !

ومن ثم ، فلم يكن أمل فى ابتكار ، ولم يعد رجاء فى انتظار ، وأرواحنا ظمأى إلى المعرفة حنانة إلى الثقافة ، عطشى إلى الجمال ، يمتعها البيان العالى ، ويشجيها الأسلوب الرصين ، ويطربها اللحن البديع ، فتندفع فى غير تحفظ ، وتسرع فى غير اعتدال ، لتلحق بركب الفن والأدب ، والحب والخير ، علها تصيب من ثمار الأذهان مفيداً ، ومن قرائح العباقرة جديداً ، يؤهلها لأن تدرك وجودها فى الحياة ... وما عاش فاقد المعرفة ، وما خلق صدىء المشاعر ، وما تمتع بليد الأحساس ، وليس جدير بالبقاء ، حى لا تختلط ذرات الحب الأسمى ، بدمائه وقلبه ، وأهازيجه وأفكاره حتى ذلك الحيوان الأعجم !

تلك هى محنة الشباب الأبى ، فى عصرنا الحر ، حرمان رهيب عنيف ، يتلاشى مع الزمن ، أو يتحطم مع العصيان ، فتنطلق الغرائز على سجيتها متطرفة ، ويستجيب الفرد لشهواته طائعاً ، ويجد اللذة فى أن يركب رأسه ، فلا يسمع من أبويه نصيحة ، ولا يطيع لأستاذه رأياً ، ثم يدفع الثمن أجراً غالياً ، من ثقافته وجهده ، ومن صحته وسمعته ، وعلى حساب مستقبله وكرامته ، ويذهب ضحية بريئة ، لأخطاء جسيمة ، وتوارثناها فيما خلف لنا الماضى البعيد ، من جهالة وخرافة ، ومن نحن وارزاء ! أيها الآباء المشفقون على أبنائكم ، والأساتذة المحبون لتلاميذهم ... ان يقيم هذا العوج ، قانون يسنه البرلمان ، ولا سلطة يمنحها القاضر ، ولا شدة يطبقها الوالد ، ولن يصلح الخلل فى معاهدنا ، والضعف فى السنتنا ، والفثاثة فى ثقافتنا ، إلا تربية قويمة ، وتنشئة مستقلة ، وتعاون بين البيت والمعهد ، وثقة بين الوالد والمربى وحرية للابن أن يعبر عما يريد ، وأن يعالج مايجب !